مخاطر وعائدات: أولويات الأسر لأجل سبل كسب عيش مرنة في دارفور

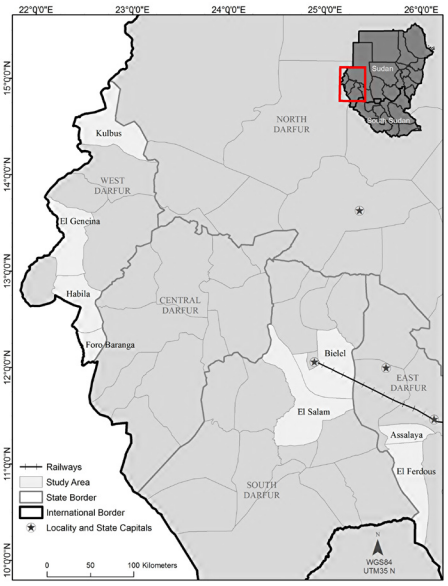

ميري فيتزباتريك وهيلين يونغ ومشروع تعاضد الانتقالي للشراكة في التنمية [1]

تعرضت أنظمة سبل كسب العيش في دارفور لصدمات هائلة وتغييرات شديدة خلال العشرين عاماً الماضية. ومع ان معظم المجتمعات المحلية ظلت تحرز تقدماً إيجابياً إلا أن تعافيها من صدمات مضاعفة خلال الـ15 عاماً الماضية، لم يكتمل. ولذلك فإن العديد من تلك المجتمعات المحلية ما زالت تكافح من أجل تلبية احتياجاتها، وما تزال ضعيفة أمام التعرض لصدمات جديدة، وتنشر وتروّج هذه الورقة للنتائج الرئيسية لدراسة حول ديناميكية أنظمة سبل كسب العيش في دارفور من عام 2000 الى عام 2015 إذ تكشف المحددات الرئيسية لسبل كسب عيش مرنة في السياق الحالي. وقد أحدثت نتائج هذه الدراسة أثرها على مشروع تعاضد الانتقالي للتنمية؛ ونأمل أن تفيد النتائج السياسات وصانعي القرار في المشروع بشكل أوسع لخلق المناخ الذي يمكن المجتمعات المحلية من ان تعيش فيه حياةً صحيّةً منتجة. وتستند الورقة الموجزة هذه على تقرير بحث يحمل عنوان "مخاطر وعائدات: أولويات الأسر لأجل سبل كسب عيش مرنة في دارفور".
(http://fic.tufts.edu/publication-item/risk-and-returns-household-priorities-for-resilient-livelihoods-in-darfur/).

1- ولوية رعي الماشية والزراعة بالنسبة لسبل كسب العيش في دارفور

تعتمد أنظمة كسب العيش في دارفور بشكل أساسي على مزيج من الزراعة المطرية وتربية الحيوان، وكليهما نشاطين تأقلما على التباين الشديد في منسوب هطول الأمطار في المنطقة؛ فعقب وقوع كارثة تسعى الأسر إلى تعزيز وتقوية هذه النشاطات، إذ أنها تشكل أساس استراتيجياتهم المعيشية. فالإثنتان (الزراعة وتربية الحيوان) تعتبران أنشطة تكاملية، ويتزايد انخراط الأسر في كلا النشاطين فيما يتخصّصان في احداهما. وكل نشاط منهما يجعل الآخر أكثر انتاجية ومرونة؛ فبالزراعة يقلّص الرعاة حاجاتهم إلى بيع حيواناتهم خلال سنوات الرخاء مما يسمح بازدياد قطعانهم بوتيرة أسرع. كما ان تربية الحيوان للبيع من أجل الحصول على حاجتهم الى النقود يسمح للمزارعين بخفض حجم الحبوب التي يحتاجون لبيعها وبالتالي يحافظون على مخزونهم من الغلال الذي يُعتبر ضرورياً لهم في سنوات الجفاف. إن كلا النهجين يستخدمان نفس الموارد الطبيعية، لكن بطرق مختلفة.

> تعتبر قدرة الأسر في دارفور على الزراعة ورعي الحيوان هي العامل الأعظم الوحيد الذي يقود المرونة. ويعتمد نجاح الأسر على إمكانية وصولها لموارد طبيعية رئيسية، والتي تعتمد، هي الأخرى، على العلاقات و توازن القوى بين مستخدمي هذه الموارد المشتركة

[1] تشمل شراكة مشروع تعاضد : خدمات الإغاثة الكاثوليكية، والوكالة الكاثوليكية للتنمية لما وراء البحار، وعون الكنيسة النرويجية، ومنظمة أوكسفام، واللجنة الميثودية المتحدة للاغاثة، ومنظمة الرؤية العالمية، وقامت وكالة العون البريطاني بتمويل المشروع.

2- يُعتبر إعادة بناء العلاقات عنصراً رئيسياً في مرونة سبل كسب العيش

تعتمد قدرة مجتمع محلي ما في الزراعة ورعي الحيوان على فرص الوصول الى الموارد الطبيعية المشتركة (الماء ، الأرض، وهذه الموارد توجد في الأرض). وتعتمد فرص الوصول هذه على مؤسسات عرفيّة، وعلاقات محليّة، وتوازن القوى بين مستخدمي هذه الموارد. وقد أضعفت أو فُقدت الآليات المحلية لإدارة هذه الموارد الطبيعية المشتركة وذلك جزئياً لأن النزاع وعدم الأمان قد قوّضا العلاقات بين مستخدمي هذه الموارد المشتركة. وتتطلب مرونة سبل كسب العيش في دارفور إدارة منصفة ومستدامة للموارد الطبيعية تستند إلى علاقات بناءة بين مستخدميها. ويُعتبر إعادة بناء هذه الآليات والعلاقات أمراً أساسياً لنظام سبل عيش مرن يمكن أن يعضد كل الناس الذين يعتمدون على ذلك النظام، سواء أعطوا الأولوية للزراعة أو لتربية الحيوان.

3 – الأسواق الكبيرة تعتبر مصدراً حاسماً لاستراتيجيات التكيّف

يكتسب الوصول المباشر لأسواق كبيرة وفرص الحصول على دخل إضافي أهمية كبيرة خلال التعرض لصدمة حينما تكون الزراعة وتربية الحيوان غير كافيان لتلبية احتياجات الأسرة. وتحتاج الأسر لإمكانية الوصول المباشر لأسواق مركزية كي تنخرط في أكثر الفرص فعالية في الحصول على دخل إضافي وتلبية ما ينقصها من احتياجات. ونادراً ما توفّر الأسواق المحلية في القرى مثل هذه الفرص. ويجب أن تضع أنشطة دعم السوق المعززة للمرونة في الاعتبار الأدوار المتغيّرة التي تلعبها مختلف الأسواق خلال التعرض لصدمة.

4 - المجتمعات المحلية تتعافى لكن معظمها ما زالت تفتقر إلى المرونة أمام صدمات مشتركة

تتعافى الأسر من صدمات قديمة لكن العديد منها تكون ما تزال تعيد بناء الاحتياطيات التي تُعتبر قاعدة لاستراتيجياتها الخاصة بالمرونة؛ وفي الوقت الذي تجابه صدمات جديدة أو تحاول العودة من جديد لولوج مستويات الدخل الرئيسي، فانها ما تزال في حاجة لبعض الدعم المباشر لتسريع وحماية المكاسب التي حققتها خلال مرحلة التعافي.

فهم أولويات الأسر

أجرت الدراسة فحصاً دقيقاً لأربع مناطق شديدة الاختلاف تقع في نطاق المناطق التي يغطيها مشروع تعاضد؛ وسعت الدراسة لكشف مظاهر فريدة ومشتركة على امتداد تلك المناطق. وفي كل المناطق، كان نشاطا رعي الحيوان والزراعة غير منفصلين وغير مستقلين أحدهما عن الاخر، وإنما كانا هما واستخدامهما للموارد الطبيعيّة مندمجين على كل المستويات من مستوى الاسرة وحتى المستوى الاقليمي. وليس مستغرباً أن يكون لكل اقليم اختلافاته من حيث استراتيجيات كسب العيش، ومن حيث تجربة التعرض لصدمات مختلفة، لكن الأقل وضوحاً لكن له القدر نفسه من حيث الأهمية، هو أن الصدمات التي تقع في احدى المناطق تؤثر بشكل مغاير على الاستراتيجيات المختلفة وتتبع أشكال تعافيها مسارات مختلفة.

وصفت الأسر، على نحو تفصيلي، الصدمات التي تعرضت لها خلال الفترة 2000 – 2015، وكيف أثرت هذه الصدمات على قدرتهم (أفراد الأسر) على دعم أنفسهم، وكيف تعاملوا مع هذه الصدمات. **وشرحوا كيف أنهم يوازنون مخاطر كل نشاط أو مصدر دخل، من حيث حجم المخاطر البدنية التي يجرّها على الأسرة أو على أفراد الأسرة، ومن حيث الخطر في أن النشاط قد يفشل ويقود الى الفقر المدقع. وفي نفس الوقت يوازنون بشكل فعّال هذه المخاطر بالعائدات المحتملة التي قد يكسبونها من النشاطات.**

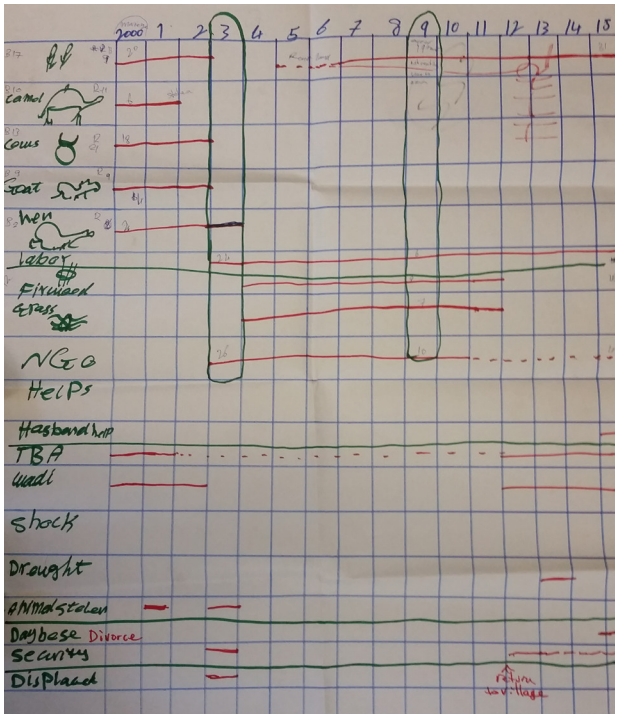

وشرحوا كيف أنهم يوازنون مخاطر كل نشاط أو مصدر دخل، من حيث حجم المخاطر البدنية التي يجرّها على الأسرة أو على أفراد الأسرة، ومن حيث الخطر في أن النشاط قد يفشل ويقود الى الفقر المدقع. وفي نفس الوقت يوازنون بشكل فعّال هذه المخاطر بالعائدات المحتملة التي قد يكسبونها من النشاطات.

تظهر الخطوط الزمنية النشاطات التي استخدمتها أسرة، وفي أي السنوات استخدمتها، ومساهمتها النسبية تجاه تلبية إحتياجات أعضاء الأسرة. توقف الأسرة نشاطات معيّنة، مثل رعي الماعز، حين تلقي الصدمات بثقلها عليها، أو حين تفوق المخاطر العائدات. وتبدأ الاسرة في ممارسة نشاطات حين تفوق العائدات المخاطر وتحوز الأسرة على موارد تتيح لها الانخراط في النشاطات. لذلك فإن خيار الأسرة للنشاطات يعكس طاقاتها والمخاطر التي تواجهها في كل وقت.

وبصرف النظر عن الوضع أو عن منطقة المشروع فإن الأسر أظهرت، صراحة أو ضمناً، نفس نظام التفصيل لنشاطات معينة على أخرى، مظهرة نفس التقديرات للمخاطر والعائدات. **وأختارت الأسر، أينما كان ذلك ممكناً، أن تستثمر الموارد المتاحة في الزراعة ورعي الحيوان، وهما النشاطان اللذان لهما أعلى عائدات محتملة، وأنها (الأسر) مستعدة لتحمّل المزيد من المخاطر للانخراط في هذه النشاطات أكثر من الانخراط في نشاطات أخرى. وبالإضافة إلى ذلك فانها أينما كان ذلك ممكناً، تجمع بين هذين النشاطين إذ أن كل واحد منهما يدعم النشاط الآخر ويحميه.** وتضع بعض الأسر الأولوية لرعي الحيوان على زراعة الحبوب لتقليص عدد الحيوانات التي يحتاجون لبيعها كي يتثنى لهم دفع المبالغ النقدية التي يحتاجون لها. وبالتالي زيادة انتاجية القطيع وتقليص المخاطر التي يواجهها القطيع. أما أولئك الذين يعطون الأولوية للزراعة فانهم يسعون الى زيادة احتياطياتهم من الحبوب التي يمكن أن تعينهم على مجابهة أعوام الجفاف ويربون الماشية لبيعها للحصول على المال الذي يحتاجون إليه لحماية احتياطيهم من الحبوب.

يظهر الشكل الحماية التي يقدمها الغذاء والدخل المستمد من اربع فئات من نشاطات كسب عيش مجمّعة وفقاً للأفضليات التي عبرت عنها الأسر في

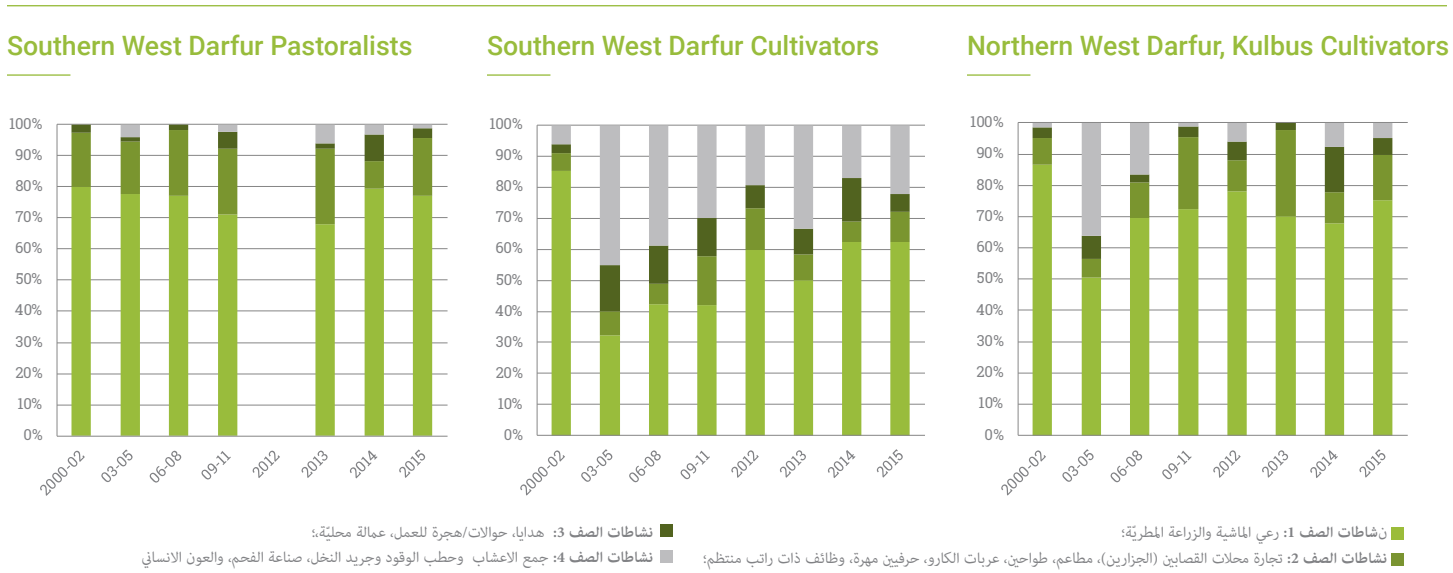

الشكل 2: الأهمية النسبية لمستويات الدخل المختلفة بالنسبة لمختلف أنواع السكان في علاقتهم بالأزمات الرئيسية والتعافي

ثلاثة أوضاع شديدة الاختلاف داخل ولاية واحدة. كانت نشاطات الصف (العمود) الأول هي الأكثر تفضيلاً، بما في ذلك الزراعة ورعي الحيوانات. وعلى الطرف الآخر تُعتبر نشاطات الصف (العمود) الرابع هي النشاطات الأقل تفضيلاً والأدنى عائدات، مثل جمع وشراء حطب الوقود أو العون الانساني. ويظهر الشكل رقم 2 ثلاث نقاط أساسية: أولاً، الأسر تنجح أو تخفق بطرق مختلفة حسب تجاربها مع الصدمات وتخصصاتها في سبل كسب العيش (الحيوانات أو الزراعة)؛ ثانياً، فيما تعيد الأسرة بناء سبل كسب عيشها خلال أحداث الفترة 2003/2004 - 2015، فانها تستثمر بشكل متواصل في رعي الحيوانات أكثر مما في غيره من النشاطات؛ وأخيراً، فإن ثمة أسر معينة لم تتعافى بشكل كامل ما تزال تعتمد على نشاطات ضعيفة المردود تحفها العديد من المخاطر ولا تزال ضعيفة أمام الصدمات.

تأتي الدروس الحقيقية من خلال التحقيق فيما يجعل هذه الجماعات السكانية المختلفة تتميز بمثل هذه التجارب والنتائج المختلفة. وفي كل حالة كان العامل الحاسم الأساسي هو فرص وصولهم إلى الأرض، والماء. لقد زاد الرعاة في جنوبي غرب دارفور بالفعل من فرص وصولهم الى الأراضي بينما تم تجميع السكان المستقرين في معسكرات معينة أو مناطق حضرية. وقد صار معظم مزارعي جنوبي غرب دارفور نازحين بعيداً عن أراضيهم؛ ومع أن معظمهم عادوا إلى قراهم الأصلية إلى أنهم ما زالوا لا يتمتعون بفرص الوصول إلى كل حقولهم السابقة، ولا يستطيعون الاحتفاظ بمواشيهم خوفاً من السرقة والعنف الذي يصحب السرقة في السياق الراهن. وفي محليّة كلبس شمالي غرب دارفور لم ينزح السكان بعيداً ولا لفترة طويلة. وفي هذه المنطقة استعادوا سريعاً إمكانية الوصول الى جميع حقولهم السابقة واستطاعوا على الفور، تقريباً، أن يرعوا حيواناتهم بسلام.

توصيات

1. تركز على الزراعة ورعي الحيوان وسلاسل القيمة المتصلة بهما لأن هذه النشاطات تحمل التوازن الأفضل للعائدات المحتملة في مجابهة المخاطر بالنسبة للأسر في الاقليم. يجب أن تيسّر البرامج والسياسات الاستثمار الذي يقوم به الرعاة والمزارعون بشكل طبيعي في هذه المناطق.

2. تدعم الآليات المحلية لإدارة الموارد الطبيعية بطريقة تعزّز الفرص العادلة في الوصول الى استخدام مستدام للموارد لدعم رعي الحيوان والزراعة والحاجات المحلية.

3. تدعم فرص الوصول الى الأسواق المركزية لتيسير الانخراط في نشاطات مربحة حينما لايتقلّص الانتاج الأولي خلال صدمة وبالتالي تتقلّص الحاجة للانخراط في نشاطات ضعيفة الدخل ومحفوفة بالمخاطر.

4. الاستمرار في تقديم دعم مباشر، لهذه الأسر التي لا تزال تمر بمرحلة التعافي ولا تستطيع تلبية احتياجاتها في مجابهة صدمات جديدة دون ان تفقد منافع في المرونة اكتسبتها بشق الأنفس.

2016 كل الحقوق محفوظة لمركز فينستاين الدولي، الموقع على الانترنت
fic.tufts.edu